مسدس فى تلك اللحظة ، لاطلقه على عليوه ، لو كان معه سكين حاد لغرزه فى صدر عليوه ، ولكنه لم يكن يحمل معه شيئا . ولذلك اثر السكوت حتى تحين الفرصة !

وحكى سيد ، كيف حصل على المسدس ، وكيف قرر القضاء على عليوه ، وكيف تعقبه ، وكيف عرف خط سيره كل صباح ، وكيف انتظره ذلك الصباح على الجسر وعند الشجرة ، وكيف قتله ، وكيف اغرق حذاءه فى دمه ! .

وصارت قصة سيد وعليوه ، حديث الناس ، وأصبحت بابا ثابتا فى الصحف ، ولاول مرة يلقى قاتل عطف الناس . فهذا الولد الوسيم الصغير ، ثار لدم ابيه ولعرض امه . وسرت العدوى من الناس الى القضاء فحكموا بحبسه لمدة عامين . واستراح سيد الحليوة ، وهو جالس فى السيارة من المحكمة الى السجن ، وكانت هذه هى أول مرة فى حياته يقع بصره فيها على سجن ، واول مرة يختلط فيها بالمساجين ، ودق قلب سيد قلقا وخوفا . ولكن سجينا ابيض اللون طويل القامة ، يزين فمه بأسنان ذهبية ، ضحك لسيد فى طيبة . وربت عليه فى حنان . وقال لسيد :

ـ ماتخافش ، السجن مش وحش زى ماانت فاهم . وانا خدامك وتحت أمرك .

وعندما انتزع الحراس سيد وعزلوه باعتباره صغير السن ، وجديدا ايضا فى عالم السجون اشار اليه الرجل الابيض الا يخاف ، فسيدبر له كل شيء فى الغد .

بدأ سيد الحليوة ليلته الاولى فى السجن ، وحشروه حشرا فى زنزانة (الايراد) مع مجموعة المساجين الجدد ، ولكن سيد لم ينم طول الليل ولم يغمض له جفن . فبعد ان اغلق السجان الباب نشبت خلافات حادة بين بعض المساجين ، ودبت خناقة حامية بين ثلاثة منهم ، وارتفعت المطاوى فى الجو ، ولمعت السكاكين فى الظلام . وسقط جرحى يعومون فى بحر من الدماء . وصرخ سيد الحليوة طالبا النجدة ، ولكن لكمة جاءته من الخلف افقدته القدرة على النطق .

وصوت الحارس جاء من الخارج يلعن سنسفيل أبوه ويأمره بالتزام الصمت ، وعندما فتحوا باب الزنزانة فى الصباح ، اكتشف سيد ان كل ماجرى فى الليل ، قد ولى مع الظلام ، واكتشف سيد فى تلك اللحظة قانون السجن الابدى . ففى السجن ، ويل للظالم والمظلوم . والعقاب ينزل بالضارب والمضروب ، والاهانة من نصيب الشاكى قبل ان تكون من نصيبه المشكو فى حقه ! وخاف سيد كما لم يخف من قبل ، بل هو خاف هذه المرة ، ولم يخف قبل ذلك قط !

بل انه عندما تربص لعليوه عند الشجرة واطلق عليه النار وقتله وغمس قدميه فى دمه ، لم يشعر ابدا بالخوف ، ولم ترتعش عضلة واحدة فى قلبه . . وشعر سيد الحليوة انه وحيد وانه ضائع وانه فى حاجة الى حماية . لحظة من هذه اللحظات التى يشعر فيها المرء ان كل شيء قد ضاع وكل شيء قد انهار . . كغريق يجرفه